

رصد بيبولوجرافي لمسيرة الأستاذ أبو القاسم سعد الله

د. بوسليم صالح

جامعة غرداية

يُعد البحث في التراجم والشخصيات من أهم الموضوعات التي تتطلب الدقة والموضوعية في المعطيات المعرفية والمفهوماتية لطبيعة أعمال ومسيرة هذه الشخصية أو تلك، لاسيما مبادئهم وشخصياتهم ومحطات مواقفهم، التي تعتبر من أهم المؤثرات في الحركة التاريخية في أي مجتمع من المجتمعات. إن دراسة الأعلام وتتبع جهودهم لها أهمية كبرى في الحفاظ على رصيدهم النضالي وأعمالهم الدؤوبة لنصرة الحق ورد الظلم، لكي تقتفي الاجيال اللاحقة آثارهم، ولكي لا تضيع الأعمال التي ناضل وكد من أجلها أولئك العظماء من أمتنا الذين يعتبرون المنارات المضيئة، التي يحاول البعض إطفاءها. ومن تلك الشخصيات المضيئة التي نشطت في صمت؛ بعيدا عن الأضواء؛ الشيخ أبو القاسم سعد الله رحمه الله.

_ ميلاده:

ولد الأستاذ أبو القاسم سعد الله بقرية البدوع بضواحي مدينة قمار بولاية وادي سوف في صائفة سنة 1930م أو 1931م. وقد ابتدأت المسيرة العلمية للعلامة أبو القاسم سعد الله في سن الخامسة، حيث دخل جامع البدوع بمسقط رأسه أين حفظ القرآن الكريم وتعلم الكتابة وحفظ بعض المتون في الفقه والحديث، ثم تفرغ بجامع الزيتونة بتونس سنة 1947م للتفقه في مختلف العلوم الدينية وعلوم اللغة وأدائها فاغترف من مناهل العلم والمعرفة حتى حصل على شهادتي الأهلية والتحصيل من، ليُعين بعد ذلك من طرف جمعية العلماء

المسلمين الجزائريين في وظيفة معلم بالمدرسة العربية بالحراش في السنة الدراسية 1954/1955م، فاستأنس بزميله وابن منطقته الشيخ الأزهاري.

التدرج الجامعي:

- استفاد من منحة دراسية إلى مصر حيث وجهته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ليلتحق بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة وتخرج منها سنة 1959م بشهادة الليسانس في الأدب العربي والعلوم الإسلامية، وبعد عام حصل على سنة أولى ماجستير في النقد الأدبي. وقد كتب العلامة أبو القاسم سعد الله أطروحته للماجستير سنة 1960م عن الشاعر محمد العيد آل خليفة وكانت بعنوان: " محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث"، وكان للمقادير مشيئتها ودورها فلم يناقش رسالته وتوجّه إلى الولايات المتحدة الأمريكية بعد حصوله على منحة للدراسة من جهة التحرير الوطني.

- استفاد من منحة دراسية مرة ثانية باتجاه الولايات المتحدة الأمريكية، حيث واصل دراسته بجامعة مينيسوتا (MINNESOTA)، وفي قسم التاريخ بنفس الجامعة تحصّل على الماجستير سنة 1962م ومنها نال أيضا على شهادة الدكتوراه في التاريخ الأوروبي الحديث والعلوم السياسية سنة 1965م. وعاد إلى جامعة الجزائر سنة 1967م، أين بدأ مساره الأكاديمي بين زملائه وطلبته وتبوّأ عدة مناصب ومسؤوليات في الجامعة الجزائرية، وبقي بها إلى أن أخرج إلى التقاعد في منتصف التسعينيات من القرن الماضي. وكان أستاذا زائرا في العديد من الجامعات العربية والأجنبية، وساهم في إصلاح التعليم العالي بتجربته وخبرته، وترأس لجانا علمية مختلفة كما كان عضوا في بعضها، كما أسندت له مهام علمية أخرى مثل فيها الجزائر أحسن تمثيل، وعن جهوده الأكاديمية التي تُذكر على الدهر فَتَشْكُرُ، فقد خصّه معهد المناهج بالجزائر العاصمة؛ بنشرية حول:

السيرة الذاتية والعلمية تحت عنوان " أ. د . أبو القاسم سعد الله شيخ المؤرخين وقدوة الباحثين "، وذلك بمناسبة تكريمه واستحقاقه لـ " وسام العالم الجزائري " والذي سُلّم له من طرف المعهد المذكور في شهر ربيع الثاني من عام 1428 هـ / ماي 2007 م . ويعرف عنه إلى جانب إتقانه اللغة العربية، فهو يتقن أيضا اللغة الفرنسية، والإنجليزية، كما دارس اللغة الفارسية والألمانية.

التخصص:

* تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر.

* تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر.

* تاريخ النهضة الإسلامية الحديثة.

* الدولة العثمانية منذ 1300 م.

المقررات التي درّسها بالجامعة:

- انتشار الإسلام إلى الوقت الحاضر.
- تاريخ الأوقاف والنظم المتصلة بها.
- تاريخ العالم المعاصر.
- التاريخ المعاصر للعالم الإسلامي (من القرن 16-19 م)
- تاريخ أوروبا الحديث.
- تاريخ أوروبا في عصر النهضة.
- التطور الفكري في المجتمعات الإسلامية الحديثة (لطلبة الدراسات العليا).
- تطور ملكية الأرض والضرائب في العالم الإسلامي (لطلبة الدراسات العليا).
- التغلغل الأوروبي في العالم الإسلامي الحديث 1800-1920 م.
- التنظيمات الأهلية والحركات العامة المؤثرة في المجتمعات الإسلامية.
- الحج والرحلة في العالم الإسلامي.

- الحركات الاستقلالية والتحرر الوطني في العالم الإسلامي الحديث.
- الحركة الإصلاحية في الدول الإسلامية الحديثة (لطلبة الدراسات العليا).
- دراسات نقدية للمصادر الأصلية والوثائق الحديثة للعالم الإسلامي (لطلبة الدراسات العليا).
- الدول الإسلامية الحديثة (القرون 16-19م).
- العلاقات الخارجية للعالم الإسلامي إلى القرن 18م.
- الفرق والمذاهب الإسلامية.
- المؤسسة العسكرية في التاريخ الإسلامي (لطلبة الدراسات العليا).
- مدخل إلى التاريخ الإسلامي.
- ملكية الأرض والاستثمار في العصر الإسلامي (القسم الثاني)، من القرن 13 إلى 20م.
- مناهج البحث الحديث في التاريخ (لطلبة الدراسات العليا).
- النهضة الإسلامية الحديثة، 1800-1924م.
- تقلد العديد من الوظائف العلمية والإدارية:**
- شغل أستاذ التاريخ بجامعة آل البيت بالمملكة الأردنية الهاشمية، ما بين سنتي 1996-2002م.
- أستاذ التاريخ جامعة الجزائر منذ 1971م. وما أقعده المرض عن الكتابة والتأليف والتعاون مع هذه الجامعة وغيرها .
- كما شغل أستاذا مشاركا في التاريخ، جامعة الجزائر 1967-1971م.
- عمل أستاذا مساعدا في التاريخ، جامعة ويسكنسن أوكلير (أمريكا) 1960-
- 1976م. وهذا قبل أن يلتحق بجامعة الجزائر.
- شغل منصب وكيل كلية الآداب، بجامعة الجزائر، ما بين سنتي 1968-1972م.

- عُين رئيساً لقسم التاريخ، بكلية الآداب، جامعة الجزائر، ما بين سنتي 1969-1971م.

أستاذ زائر:

- جامعة منيسوتا، أمريكا قسم التاريخ، 1994-1996، 2001م.
- جامعة ميشيقان (أمريكا) 1987-1988م، دورات متوالية سنوية.
- جامعة الملك عبد العزيز (السعودية) قسم التاريخ، 1985م.
- جامعة دمشق (سورية) 1977م.
- جامعة عين شمس (مصر) 1976م.
- معهد البحوث والدراسات العربية (مصر) 1970، 1975، 1989م.

تكريمات : شهادات تقدير وتشريف:

- منح (وسام المقاوم) على المساهمة النشطة في الثورة الجزائرية، الجزائر 1984م.
- كرمه رئيس الجمهورية بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين لاستقلال الجزائر 1984م.
- ضيف الشرف عند توزيع جوائز الدولة التقديرية، السعودية، الرياض، 1984م.
- الرئيس الشرفي لاتحاد الكتاب الجزائريين منذ 1989م.
- منح جائزة الإمام ابن باديس من قبل مركز دراسات المستقبل الإسلامي الموجودة في لندن 1991م.
- منحة فولبرايت (Fulbright) كأستاذ باحث، جامعة منيسوتا، 1993-1994م.
- كرمه نخبة من الأساتذة والأدباء بمناسبة صدور الطبعة الأولى من كتاب الحركة الوطنية الجزائرية، في مدرج جامعة الجزائر، 04 يوليو، 1969م.

- كرمه أدباء وهران، ربيع 1987م.
- ضيف شرف في احتفال الجنادرية الثقافي (السعودية) سنة 1992م.
- دراسات وشهادات: كتاب تكريم وتقدير مهدي إلى الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله، تحرير: أ.د. الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2000م (ساهمت فيه مجموعة من الأساتذة)

المشاركة العلمية في المؤتمرات الوطنية والدولية :

- تاريخ وحضارة المغرب العرب، تونس 1974م.
- مصادر تاريخ الجزيرة العربية الرياض 1977م.
- الحياة لاجتماعية والثقافية للدولة العثمانية تونس 1986.
- الذكرى الخمسينية لإنشاء نجم إفريقية الشمالية باريس 1987م.
- تاريخ الرياضيات العربية الجزائر 1988م.
- كتاب المغرب العربي طرابلس 1968م.
- اتحاد الكتاب العرب دمشق 1971م.
- اتحاد الكتاب العرب تونس 1973م، 1990م.
- التراث الفلسطيني القاهرة 1989م.
- مؤتمرات المستشرقين الأمريكيين في سان فرانسيسكو 1966، ميشيغان 1978م
- كارولينا الشمالية 1993م، أريزونا 1994م.
- المؤتمر الثالث لتاريخ الرياضيات العربية الجزائر 1990م.
- مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة 1989م.
- ندوة أسبوع المغرب العربي، تنظيم رابطة الطلاب الإسلاميين بفرنسا باريس 28 أكتوبر 1991م.
- كيف تعلم الفرنسيون اللغة العربية في الجزائر، محاضرة في سيمينار قسم

- التاريخ، جامعة آل البيت (الأردن) خريف 1997م.
- الملتقى الثاني للثورة الجزائرية باتنة 11 - 14 نوفمبر 1990م.
- ندوة خير الدين باشا التونسي، تونس 1995م.
- المؤتمر الأول لكتابة تاريخ الثورة الجزائرية، الجزائر 1981م.
- ملتقى الحركة الثقافية والفنية والإبداعية في الجزائر، تنظيم جامعة آل البيت والسفارة الجزائرية بعمان مايو 2001م.
- الملتقى العماني الأول بإشراف جامعة آل البيت والسفارة العمانية في عمان سنة 2000م.
- ملتقى الدولة العثمانية، بدايات ونهايات، تنظيم جامعة آل البيت، سنة 1999م.
- أشغال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي وحضارته تونس 1974م
- الندوة العالمية الأولى لمصادر تاريخ الجزيرة العربية، الرياض 1977م
- الملتقى الثقافي الثاني عن أدب السيرة والمذكرات في الأردن جامعة آل البيت مايو 1998م
- ندوة عن الثورة في العالم الثالث، جامعة ويسكنسن، أوكلير، أمريكا، 1967
- الملتقى العلمي حول الحركة الثقافية والفنية والإبداعية في اليمن إشراف جامعة آل البيت والسفارة اليمنية في عمان ربيع 2000م.
- المشاركة العلمية بالمحاضرات:
- محاضرة في جامعة الجزائر بمناسبة ذكرى الأمير عبد القادر، 04 مايو 1983م.
- محاضرة عن إشكالية الكتابة التاريخية بجامعة الجزائر في 02/04/1990م.
- محاضرة عن جمعية العلماء والسياسة في المركز الثقافي الإسلامي بالعاصمة 24 يناير 1990م.

- محاضرة في جامعة اليرموك بدعوة من قسم التاريخ عن الاستعمار والاندماج في الجزائر شتاء 1996م.
- محاضرة في أيام دراسية قسم التاريخ، جامعة آل البيت، نساء أوروبيات في مواجهة مجتمع عربي، خريف 1996م.
- محاضرة عن العنصرية عند افتتاح السنة الدراسية الجامعية بالجزائر بدعوة من رئاسة الجامعة في 05/10/1986م.
- محاضرة عن الأديب الشهيد أحمد رضا حوحو، بدعوة من اللجنة الثقافية لاتحاد طلبة المغرب العربي في القاهرة، في نادي طلبة المغرب العربي مارس 1960م.
- محاضرتان في مسقط (عمان) خلال رمضان 1422هـ/2001م، بدعوة من وزارة الأوقاف العمانية.
- محاضرة عن الثورة الجزائرية في ذكراها الثالثة، في نادي طلبة المغرب العربي بالقاهرة، نوفمبر 1957م.
- محاضرة في جامعة الجزائر عن قيمة التاريخ، بدعوة من قسم الفلسفة 29/12/1987م.
- ملتقى نجم شمال إفريقيا، بدعوة من المركز الثقافي الجزائري بباريس فبراير 1987م.
- محاضرة عن نظرة الأمريكيين للتاريخ الجزائري، جامعة الجزائر ربيع 1987م.
- محاضرة عن تاريخ العلوم في الجزائر خلال العهد العثماني، المدرسة الوطنية العليا للأساتذة ديسمبر 1986م
- محاضرة عن حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) في سنمار معهد لوثر مينيابلوس (أمريكا) 1996م.

- محاضرة عن الجزائر في منتدى جامعة هاملين مينيابولس (أمريكا) 1994م.
- محاضرة في جامعة الجزائر عن النيقريتود أو الزوجية 1968م.
- محاضرة عن معنى التاريخ في جامعة الجزائر 29/12/1987م.
- محاضرة عن الجزائر والقومية العربية جامعة الجزائر 1966م.

النشاط الأكاديمي:

- وبعد الاستقلال لم يركن مترجمنا إلى الراحة والركود بل واصل نضاله الذي كان يؤمن به ،مجسدا قول الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الانتصار في غزوة بدر:رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر، والجهاد الأكبر بالنسبة لمترجمنا هي مرحلة بناء الدولة الوطنية على مبادئ الإسلام والعروبة المعاصرة.
- محرر المجلد الخامس من الكتاب المرجع في تاريخ الأمة العربية، ALECSO منذ 1998م.
- كتابة مداخل عديدة في موسوعة العلماء العرب والمسلمين، المنظمة العربية ALECSO منذ 1998م.
- عضوية تحرير مجلة (المنار) المحكمة، جامعة آل البيت، الأردن منذ 1997م.
- رئيس لجنة العلوم الإنسانية لمعادلة الشهادات الأجنبية الجزائر 1990_1993م.
- رئيس لجنة ترقية الأساتذة المشاركين إلى رتبة أستاذ ، في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية الجزائر 1990_1993م.
- الإشراف على مجموعة من الرسائل الدكتوراه و الماجستير والمشاركة في مناقشتها في الجزائر والأردن وأمريكا والسعودية.
- عضو معتمد في الإشراف على الأطروحات من الجامعة الإسلامية العالمية -لندن-
- عضو مجمع اللغة العربية القاهرة منذ 1989م.

- عضو مجمع للغة العربية دمشق منذ 1990م.
- رئيس المجلس العلمي لدائرة التاريخ ثم معهد التاريخ بالجزائر سنوات 1972-1980-1984-1986-1993م.
- عضو المجلس الوطني للبحث العلمي الجزائر 1992م.
- عضو مجلس البحث العلمي لجامعة آل البيت (الأردن) منذ 1998م.
- تنشيط ندوة الأساتذة الثقافية بجامعة الجزائر. 1967-1968م.
- إدارة ندوة حول التعريب في الجزائر اشترك فيها مجموعة من الأساتذة في منهل السعودية أوت 1990م.
- وبعد الاستقلال لم يركن مؤرخ الأجيال إلى الراحة والركود، بل واصل نضاله الذي كان يؤمن به، مجسدا قول الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الانتصار في غزوة بدر: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر. والجهاد الأكبر بالنسبة لمتربطنا، هي مرحلة بناء الدولة الوطنية على مبادئ الإسلام والعروبة المعاصرة.
- وقد لُقّب العلامة المرحوم؛ بإجماع الباحثين والدارسين الجزائريين بشيخ المؤرخين الجزائريين، وذاكرة الجزائر، ورمزا من رموز الخبرة التراثية في البلاد العربية.

آثاره العلمية:

- خلف الشيخ المرحوم العديد من المؤلفات والمقالات العلمية، التي أثرى بها المكتبة الوطنية والعربية، نذكر من أبرزها:
- موسوعة تاريخ الجزائر الثقافي (10 مجلدات)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.
- أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر (5 أجزاء)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993-1996-2004.

و ثرواتهم لخدمة فرنسا، محاولا فصلهم عن انتمائهم العربي الإسلامي، فكان بحق استعماراً متميزاً بشموليته وبقدرة ما كان كذلك، كانت مجموعة من الجزائريين تعمل على نقل لغة المقاومة جيلاً بعد جيل وتحرص على إبقاء شعلة الغضب والثورة متقدة في النفوس حتى قامت الثورة التحريرية التي أخرجته، ومن هؤلاء الذين قدموا تضحيات في سبيل ذلك الأستاذ أبو القاسم سعد الله ، الذي لم يطمئن لتلك الحالة المادية والمعنوية المتدهورة التي انتهى إليها أمر بلاده، فثار عليها إلى جانب ثلة من إخوانه مستلهما ثورته من مبادئ الإسلام وأسسه كما فهمها السلف الصالح، لا كما شوهتها عصور التدهور والانحطاط، مؤمناً بأن تطهير العقيدة من الجمود والانحراف، وتنوير العقول بهدى الشريعة وعلوم الحياة وإنقاذ الأرواح من الهوة السحيقة التي انحدرت إليها، هي المنطلقات الصحيحة لإخراج الاستعمار من النفوس أولاً ومن الأرض ثانياً.

ولم يكن هذا الإيمان حبيس نفس الأستاذ أبو القاسم سعد الله بل تجسد في نضاله المستميت ونكرانه للذات حتى بعد خروج الاحتلال من الجزائر، لأن طرده من الأرض لم يكن كافياً، فالغاية المنشودة لا تتحقق إلاً بتطهير العقول والأرواح من رواسته.

_ لعبت البيئة الريفية التي تربى فيها أبو القاسم سعد الله مدة سبعة عشر سنة دوراً في الحفاظ على تمايزه وصفاء سيرته، بتحصينه بتعليم ديني أولي، وقد وجد في مدرسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين -لاحقاً- الإطار الذي ينمي قدراته ويحافظ على شخصيته الأصيلة. كما أن الريف الذي نشأ فيه، قوى فيه العزيمة والصبر على أنواع الابتلاءات والمحن التي ذاق مرها منذ نعومة أظافره وصدق من قال: "من لم تكن له بداية محرقة لم تحصل له نهاية مشرقة".

وقد كان مؤرخ الأجيال يدرك أن الابتلاء هو سنة الله في خلقه، ولا يكون التمكين للمرفهين الذين لم يذوقوا محنة ولا خوفاً ويظنون أن التمكين يأتيهم دون أن ينقص من دنياهم وراحتهم وأمنهم شيء، وينسون أن التمكين إنما يكون من بعد الخوف والمحن، قال الله تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ سورة النور ، الآية رقم 55.

فالشخصيات العظيمة- التي مكّن الله لها -كانت في بداية حياتها محرومة، مضطهدة وهذا سبيل المكافحين، ومنهم الأستاذ سعد الله، الذي توفاه الأجل رحمه الله في يوم 14 ديسمبر سنة 2013م بمدينة الجزائر العاصمة، وتحديدًا بمستشفى عين النعجة العسكري - بعد معاناة من المرض- عن عمر ناهز 83 سنة.

يمكن القول في الأخير أن الأستاذ أبو القاسم سعد الله قد ساهم في إرساء معالم المدرسة التاريخية الجزائرية، وكفّيه فخرا ما قدّمه من أبحاث في تاريخ الجزائر، ساهم بها في إثراء المكتبة الوطنية والعربية.

لقد عاش شيخ المؤرخين الجزائريين الأستاذ أبو القاسم سعد الله -رحمة الله عليه- للعلم الذي استقاه من مدرسته الأولى، وهي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ثم أخذ ينشره كما عاش للإسلام ينصره وللعربية يحميها من كيد الكائدين وتنكر المتنكرين. فما وهن له عزم ولا ضعفت له إرادة ولا فت في عضده طغيان الأجنبي الدخيل ولا تثبيط المتخاذل الذليل، وهذا شأن أصحاب المبادئ الذين آمنوا بالحق فحالفوه وكفروا بالباطل فقاوموه.